

## الجزية والاسلام

رسالة لشمس العلماء الشيخ شبلي النعماني استاذ العلوم العربية في مدرسة العلوم  
في عليكنده ( الهند )

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . والصلاة على رسوله محمد وآله  
وأصحابه اجمعين

اعلم ان الجزية من اعظم ما تعلق به الاوروبابويون في القندح على الشريعة  
الاسلامية والخط من شأنها فمن ظان يظن ان الجزية لم يكن لها عين ولا أثر في جيل  
من الاجيال ودولة من الدول وانما الشريعة الاسلامية هي التي أحدثت هذه البدعة  
وأست ببيانها ومهدت لها أصولها وأركانها . ومن زاعم بزعمه ان وضع هذه القاعدة  
لم يكن الا اذلالا لأهل الذمة واهانة لهم فهي آية الذل وسمة الهوان وشعار الجزية  
وعلامة العار حتى انه هان على كثير من الاقوام الدخول في الاسلام هر باعن احتمال  
الضم والرضاء بالذل . ولاجل هذا ترى الاوروبابويين اذا قرع سمعهم هذا اللفظ يهجه  
سمعيهم وتسمئزمنه نفوسهم . والحق انهم غير ملوبين في ذلك فان من أحاط علما  
بنصوص المتأخرين من الفقهاء يستين له في أول الامر ان وضع أسئلة هذه الرسوم  
أقصى ما يقصد به اذلال قوم وأرغام أنفسهم مع ان الشريعة الاسلامية أبعد محلا وأرفع  
شأنا من ان يمسها عار أو يباحقها عيب وأبى الله الا براءتها عن كل جور وحييف

ولما رأيتهم يتهاقون في أمثال هذه الاغلاط أردت أن أكشف لهم عن جليلة  
الخلل حتى لا أترك لنفسهم ريبه ولا شككا . فتقول ان لنا في اثبات دعوانا ابحاثا .  
«الاول» في تحقيق لفظ الجزية والفحص عن مادته وصيغته . «الثاني» في تحقيق ان  
الجزية متى كان حدودها ومن أسسها أولا «الثالث» في تحقيق الغرض الذي كان  
سببا لا اختيارها في الاسلام

(الاول) لم يتعرض الجوهرى ولا المجد لبيان أصله واشتقاقه . وقال بعضهم «وهم

ليسوا ممن ثبت بهم اللغة » الى انه مشتق من الجزاء بناء على انها طائفة مما على أهل  
الذمة أن يجزوه أي يقضوه وهذا ما اختاره الزمخشري في تفسيره اما العارفون بلغة  
الفرس فأطبقوا على ان اللفظ فارسي محض وان أصله كزيت وان الجزية انما هي  
تعريب له واستشهدوا في ذلك بورود هذا اللفظ كثيرا في كلام شعرائهم على زنته  
الاصلية . قال الحكيم سوزني

كتاب خویش بخوانیم ووزو عمل نکنیم      که تا کزیت ستاند خودز أهل کتاب  
وقل النظامي

کیش قیصر کزیت دین فرستد      کیش خاقان خراج جین فرستد  
وتقول لما ثبت من تصریحاتهم «وهم أعرف بلسانهم» أنها فارسية فاما ان يقال  
انها عربية أيضا كما هو شأن توافق اللغات وذلك احتمال بعيد لا يلجأ الى أمثاله الا  
عند ضرورة محوجة، وإما أن يقال إنها فارسية الاصل وانما سبيله في تداوله عند العرب  
سبيل الدعي والدخيل في القوم . وهذا الاحتمال تماضيه قرائن وأمارات منها أن العرب  
خالطوا المعجم قديما وعاشروهم فأغاروا على جانب عظيم من لغتهم واستباحوها ونصرفوا  
فيها كيف ماشاؤا ولعبوا بها كل ملعب

وذلك كالكوز والابريق والبطست والخوان والقصة وغيرها مما أحصاها الثعالي  
في كتابه فقه اللغة . فليس من المستنكر أن تكون الجزية أيضا من جملتها

ومنها ان العرب كانوا قبل الاسلام أصحاب البؤس والشقاء رعاية الابل والشاة  
ما ملكوا أرضا ولا استعبدوا قوما . فلم يتفق لهم وضع الالفاظ بإزاء المعاني التي هي من  
مختصات المدنية وال عمران ولذلك لا نجد في كلام العرب العرباء ألقافا تقوم مقام الوزير  
والصاحب والعامل والتوقيع والدست وغيرها ولما كانت الجزية أيضا من خصائص  
الملكية كفوا مؤنة وضع لفظ بازائها . ومنها ان الخيرة ( وكانت منازل آل نهران )  
كانت تدعى للمعجم وتؤدي اليهم الاتاوة والخراج . ولما كان كسرى أنوشروان هو  
الذي سن الجزية أولا كما بينه فيما سيأتي يفتب على الظن ان العرب أول ما عرفوا  
الجزية في ذلك العهد وتعارروا اللغة العجمية بعينها . ومن مساعدة الجدل أن اللفظ كان

زمنه زنة العربي فلم يحتاجوا في تعريبه الى كبير مؤنة بعد ما أبدل كافها جيا صارت كأنها عربي الأصل والنجار ومع هذه كلها فإن هذا البحث لا يهمننا ولا يتعلق به كبير غرض فإن اثبات ما نحن بصدده لا يتوقف على الكشف عن حقيقة اللفظ فنحن في غنى عن اطالة الكلام وإسبابه في أمثال هذه الأبحاث

( الثاني ) أول من سن الجزية فيما علمنا كسرى أنوشروان وهو الذي رتب أصولها وجعلها طبقات . قال الامام الملاية المحدث أبو جعفر محمد بن جرير الطبري يذكر ما فعله كسرى في أمر الخراج والجزية : وألزموا الناس ما خلا أهل البيوتات والعظلاء والمقاتلة والمرازبة والكتاب ومن كان في خدمة الملك وصبروها على طبقات اثني عشر دوها وعناية وستة وأربعة بقدر إكثار الرجل أو إقلاله ولم يلزموا الجزية من كان أتي له من السن دون العشرين وفوق الخمسين »

ثم قال « وهي الواضئ التي اقتدى بها عمر بن الخطاب حين افتتح بلاد الفرس » وقال المؤرخ الشهير أبو حنيفة احمد بن داود الدينوري ( وهو أقدم زمانا من الطبري ) في كتابه الاخبار الطوال في ذكر كسرى انوشروان « ووظف الجزية على أربع طبقات وأسقطها عن أهل البيوتات والمرازبة والاساورة والكتاب ومن كان في خدمة الملك . ولم يلزم أحدا لم تأت له عشرون سنة أو جاوزا الخمسين » وقريب من هذا ما ذكره شاعر العجم ولسانهم فردوسي في كتابه شاهنامه

همه بادشاهان شدند انجمن	زمين را بسنجيدو برزدرسن
كزيني نهادند بريك درم	كرايدون كه دهقان نمودي درم
كزيت ز بارور شش درم	بنخراستان برهين زد رقم
كسي كشي درم بود دهقان نبود	نودوي غم ورنج كشت ودرود
كزارنده ازده درم تاجهار	بسالي ازوبستدي كلردار
دير وپرستنده شهر يار	نودوي بدبوان كسي راشمار

ومن وقف على هذه النصوص يظهر له ان الجزية مأثورة من آل كسرى وان الشريعة الاسلامية ليست بأول واضع لها وان كسرى رفع الجزية عن الجند والمقاتلة وان عمر بن الخطاب اقتدى بهذه الواضئ

أما المعنى الذي توخاه كسرى في هذا الاستثناء فيته العلامة ابن الأثير في كتابه الكابل نقلا عن تلام كسرى فقال «ولما نظرت في ذلك وجدت المقاتلة أجرا لأهل العارة وأهل العارة أجرا للمقاتلة فانهم يطلبون أجورهم من أهل الخراج وسكان البلدان لمداقتهم عنهم ومجاهدتهم عن ورائهم فتحق أهل العارة أن يوفوهم أجورهم فان العارة والأمن والسلامة في النفس والمال لا يتم إلا بهم ورأيت ان المقاتلة لا يتم لهم المقام والاكل والشرب وتثبير الأموال والأولاد إلا بأهل الخراج والعارة فأخذت للمقاتلة من أهل الخراج ما يقوم بأودهم وتركت على أهل الخراج من مستقلاهم ما يقوم بموتهم وعمارتهم ولم أجحف بواحد من الجانبين؟»

وحاصلها انه يجب على كل فرد من أفراد الملة المدافعة عن نفسه وماله فمن كان يقوم بهذا العبء بنفسه فليس عليه شيء — وهوؤلاء أهل الجند والمقاتلة — وأما من كان يشغله أمر العارة وتدير الخرج على المخاطرة بالنفس فيحقق عليه ان يؤدي شيئا معلوما في كل سنة يصرف في وجوه حمايته والدفاع عنه — وهذا هو المعنى بالجزية فانها تؤخذ من أهل العارة وتمطى للمقاتلة والجند الذين نصبوا أنفسهم لحماية البلاد واستتباب وسائل الأمن والسلامة لكافة العباد — (البقية بعد)

## الاختلاف والتفرق في الدين

ذكرنا في عدد سابق ان تقصيرات العلماء التي وصلت بنا الى ما نحن فيه اليوم عشرة ووجدنا بالكلام عليها تفصيلا في مقالات متعددة وأهمها أولها في الذكروفي سوء التأثير وهو التفرق في الدين واختلاف المذاهب في أصوله بالأخص ولما كان هذا يحتاج الى شهادة التاريخ وأينا أن نذكر بعض الوقائع التاريخية في الموضوع لما فيها من الفائدة والاعتبار ولرغبة النفوس في الاطلاع عليها وعنايتها بقراءتها. وهاؤم اقرؤا في أولها هذه الواقعة التي وقعت في مثل هذا الشهر المبارك على انها من أهون الوقائع وهي (الواقعة الأولى) لما اتصل بالملك الأشرف موسى ابن الملك العادل في دمشق (قبل خروجه الى مصر) ما عليه الشيخ عز الدين بن عبد السلام من العلم والدين وانه سيد